# من يقتل خمسين عربيا يخسر قرشا ...

محمود درويش

**فصل آخر من كتاب عن تجربة محمود درويش الاسرائيلية ، يصدر في الخريف القادم عن مركز الابحاث .**

هنا ينامون . أسماؤهم كثيرة وموتهم واحد . كانوا متعبين وكان الغروب صغيرا ، فسقطوا بسهولة ولم يقولوا شيئا لان الموعد كان مفاجئا . وماذا لو أحيطوا علما ؟ فالوصايا معهم .. والعائلة كلها عائدة من العمل ، والعالم ليس لهم .

هنا ينامون . نالوا عقابا على جريمة غامضة . لم يخرجوا في مظاهرة واحدة ، ولم يدافعوا عن الحياة والتراب الا بالصلوات . كانوا يخرجون من البؤس في الصباح الباكر ويعودون الى البؤس في الغروب الباكر . وكانوا ينتظرون المطر ، فجاءهم الموت في غزارة المطر .

هنا ينامون . ويكبر الغروب ، ويتحول الى غابات من الشجر الجاف . لا وقت لذكراهم ولا مناسبة ولا موعد . الحجارة هي الوقت ، وامتداد الغـــروب الذي لا لون له هو الوقت . وماذا نسميهم ؟

ليست مذبحة كفرقاسم يوما للذكرى . وليست مرحلة يغلبها النسيان . انها تاريخ كراهية ممتد منذ استل هرتسل سيفه من التوراة وأشهره في وجه الشرق . فسكان هذه القرية المسحوقة المهملة لم يفعلوا شيئا يثير غضبة أحد ولو كان عدوا متطوعا . لم يقاتلوا الا الطبيعة القاسية والبؤس الاسود . فمن أجل ماذا ماتوا ؟ لم يموتوا من أجلنا كثيرا . هم ضحايا لا شهداء . وتلك هي مأساتهم المزدوجة ، وذاك هو حزننا المزدوج عليهم . بوسعنا ان نقول انهم ماتوا من اجـــل ان نعمق كراهيتنا للظلـــم والاغتصاب . ومن أجل أن نعمق عبادتنـــا للارض . ولكننـــا لا نحتاج هذا البرهان الضاري . اننا قادرون على تنمية حاسة الحب والكراهية بدون هذا الموت المجاني . فمن أجل ماذا ماتوا اذن ؟.

ليس من أجلنا ، بل من أجل القتلة . لكي يمتلىء الصهيوني بالاحساس بأنه قادر على أن يمثل دورا في التاريخ غير دور الضحية . من أجل هذا البرهان يتلذذ بالقتل . « اما أن اكون قاتلا واما أن أكون قتيلا » . هذا هو الخيار الضيق الذي وضعه لنفسه . ان